الفصل الحادي عشر

الإسلام في ألمانيا .. إسلام ألماني؟

أقيم في برلين في المدة بين ٢٨ من مايو - ٢٧ من أغسطس عام ١٩٨٩ معرض بعنوان «أوربا والشرق ٨٠٠ -١٩٠٠». ولقد أبرز هذا المعرض وأكد حقيقة التأثير العربي الإسلامي في جميع فروع الفنون في الغرب، بما فيها فن العمارة، والرسم، والحرف الفنية، والموسيقى، وأصول اللياقة، وقواعد السلوك، واللغة، والزي السائد[1] ومع ذلك، كان التأثير الديني للإسلام في أوربا ضئيلاً جداً في تلك المدة، وبصفة خاصة في ألمانيا التي لم تتعرض - على العكس من إسبانيا وفرنسا والنمسا - لاحتلال إسلامي أو لحصار عسكري. فلم يصل العرب في عام ٧٣٢ إلى أ بعد من Tours Potieers، كما أخفق العثمانيون أكثر من مرة في عامي ١٥٢٩، ١٦٨٣ في دخول فينا.

من الثابت ، أنه كانت هناك اتصالات دبلوماسية بين شارلمان الأكبر والخليفة هارون الرشيد ببغداد. ومع ذلك، فإننا لا نستطيع أن نتحدث عن علاقات ثنائية حقيقية بين ألمانيا والعالم الإسلامي، إلا ابتداء من عام ١٧٣١ . ففي هذا العام، جند فريدريك فيلهيلم ملك بروسيا عشرين من الجنود الأتراك لأجل حراسته الشخصية. ومن أجل هؤلاء ا لجنود، أقيم في بوتسدام عام ١٧٣٢ أول مسجد في ألمانيا. وفي عهد خليفته فريدريك الأكبر، ازداد عدد الجنود المسلمين في الجيش البروسي، حتى بلغ نحو ألف جندي، معظمهم من التتار الفارين، ومن الألبان، ومن البوسنة. . وأصبحت هناك بذلك حاجة ملحة إلى وجود إمام (واعظ) لهم. وإلى هذه المدة، أي نحو منتصف القرن الثامن عشر، يرجع تاريخ

(١) لقد أصدرت دار نشر برتلسمان دليلاً ملوناً، يجدر بكل معنيّ أن يقتنيه. جُتير سلوه (١٩٨٩).

وجود أقدم مقابر للمسلمين بألمانيا، وتقع هذه المقابر عند برلين[1].

توثقت العلاقات بين العالم الإسلامي وألمانيا في القرن التاسع عشر. ففي المدة ١٨٣٥ - ١٨٣٩ أدى القائد هيلموت فون مولكه خدمات جليلة للسلطان العثماني، في حين اعتنق د. إدوارد شتش، وهو مستشار مدني، الإسلام، وحمل اسم محمد أمين باشا، وصار فيما بعد حاكماً لإقليم مصر الجنوبي، حيث قام بأعمال متميزة. كذلك، صار الكاثوليكي كارل ديتروات، من براندنبرج، بعد اعتناقه الإسلام، قائداً برتبة فيلد مارشال في القوات التركية باسم محمد علي. أما القيصر فيلهيم الثاني، فقد أحرز قصب السبق، وأصاب الهدف فيما يختص بالعلاقات الإسلامية - الألمانية من خلال ما بذله من جهود للظهور بوصفه محامياً للعالم الإسلامي (في مواجهة إنجلترا وفرنسا وروسيا). فلقد تركت رحلاته إلى إسطنبول في عام ١٨٩٥، وإلى دمشق والقدس في عام ١٨٩٨، وإلى طنجة في عام ١٩٠٥ بصماتها وآثارها الطيبة في هذه البلاد.

لم يكن من قبيل المصادفة أن تحارب تركيا إلى جانب دول المحور (الوسط) في الحرب العالمية الأولى؛ فلقد عمل إنفر باشا، المحرك الرئيسي للشباب التركي مدة من الوقت ملحقاً عسكرياً لتركيا في برلين. وكان من الضروري أن يقام مسجد آخر بالقرب من برلين لأسرى الحرب المسلمين، الذين كانوا يبلغون ١٥ ألف أسير معظمهم من روسيا وشمالي إفريقيا والسنغال. ولقد أقيم هذا المسجد، الذي افتتح في حضور السفير التركي عام ١٩١٥، عند زوسن، ويعرف بمسجد فوند سدورف.

(١) عن النشأة الأولى للجماعة الإسلامية في ألمانيا، انظر: كتاب م. س. عبد الله (هربرت كرافنكل): «تاريخ الإسلام في ألمانيا»، جراتس (١٩٨١). و«هلال وسط نسر بروسيا»، ألتنبرج (١٩٨٤). و«موجز لتاريخ الأقلية الإسلامية بألمانيا»، ألتنبرج (١٩٨٧).

ليس هناك مجال للحديث عن جماعة إسلامية من أصل ألماني قبل عام ١٩٢٢، حيث التفت هذه الجماعة منذ ذلك التاريخ حول الهندي مولاي صدر الدين، الذي تمكن في عام ١٩٢٥ من استلام مسجد القبة في برلين - فيلمر سدروف.

كان الأمر في أثناء الحرب العالمية الثانية مختلفاً، إذ اتخذت مشكلة رعاية ٦٠ ألفاً من أسرى الحرب المسلمين من الاتحاد السوفيتي والبوسنة بعداً مختلفاً، من حيث الحجم والشكل، عما كانت عليه الحال في أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨). فلقد أدت تحريضات المفتي أمين الحسيني، الذي كان قد اتخذ برلين مقراً له منذ عام ١٩٤١، إلى رغبة الكثيرين من الأسرى المسلمين في محاربة القوى الاستعمارية والإلحاد السوفيتي، ومن ثم فقد انضموا إلى قوات الرايخ الألماني [١]. ولم تكتف القوات المسلحة الألمانية والقوات الخاصة بالسماح بإنشاء «معهد إسلامي» في برلين فَحسب، بل لم يتركوا أيضاً فرصة تفلت منهم لاستخدام التتار والتركمان والبوسنيين والألبان لتحقيق أغراضهم. وفي سبيل ذلك، أنشأت القوات المسلحة في عام ١٩٤٤ مدرسة عسكرية خاصة، لتخريج رجال دين مسلمين على وجه الخصوص.

كانت الوحدات المسلمة ترتدي الزي العسكري الألماني، مع شارة كتف بألوان العلم الفلسطيني، وبشعار «أرض عربية حرة» مكتوب باللغتين: العربية والألمانية. (ومرة أخرى، تصور ألمانيا نفسها على أنها «حامية» العالم الإسلامي). ولقد انتهت هذه المغامرة بكثير من المسلمين إلى نهاية مأساوية، في عام ١٩٤٥. ولكن مسلماً ألمانياً، هو محمود هايتمان، استطاع على أي حال أن يعيد المفتي الحسيني إلى القدس مرة أخرى.

(١) كلاوس جنزيكه: «مفتي القدس أمين الحسيني والاشتراكيون القوميون». فرانكفورت، (١٩٨٨).

احتلت الدراسات الإسلامية الألمانية مكانة مرموقة بين دراسات الاستشراق منذ القرن العشرين، إلى جانب تمتعها بسمعة طيبة، ما تزال تحتفظ بها إلى اليوم، في العالم الإسلامي. ويعود ذلك إلى اتباع العلماء الألمان للمنهج الوضعي الذي كان يمثل روح وجوهر العلم في ذاك القرن. وهو ما يشكل نقيضاً تاماً لسلوك لورنس العرب، الذي كان عميلاً لقوات الاحتلال. وتظل محاولات ثيودور نولدكه (المتوفى في عام ١٩٣٠)، لإثبات وتحقيق كل آية من آيات القرآن والتأريخ لها، مثالاً حياً على جدية البحث العلمي، وقيمة باقية من قيمه حتى بالنسبة لعلماء المسلمين. وكذلك أفنى الأستاذ Rudi Paret من تينيجن حياته في دراسة القرآن، وتوصل بدراسته إلى إثبات أنه خلف ووريث صالح، في القرن العشرين، لهذا الاتجاه العلمي المتأصل.

كان الألمان في تلك الأثناء، قد دخلوا في «حوارات علمية» مع القرآن. وتعود أولى ترجمات القرآن إلى الألمانية إلى عام ١٦١٦، حيث ترجمها سالومون شفايجر[1]، ونشرت في نورنبرج تحت عنوان: قرآن الأتراك.. دينهم وخرافاتهم. ومن الممكن أن يتصور المرء كيف كانت هذه الترجمة، إذا ما علم أن النص الذي نقلت منه لم يكن القرآن باللغة العربية، وإنما كان منقولاً عن ترجمة إيطالية منقولة بدورها عن ترجمة لاتينية سابقة لها.

(١) نشرت قائمة تشمل الترجمات المختلفة للقرآن، وفق ترتيب أبجدي، على الصفحات من ٢١٣ - ٢٣٥ من بيبليوجرافيا العالم لترجمات معاني القرآن المقدس، المطبوعة في الأعوام منذ ١٥١٥ حتى ١٩٨٠. وهذه البيبليوجرافيا أصدرها معهد الأبحاث الدولي للتاريخ - الفن والثقافة الإسلامية القائم بيلديز - إسطنبول.

كما تتضمن مقدمة محمد حميد الله (انظر هامش رقم (١) ص ١٣٧) قائمة مرتبة زمنياً لترجمات القرآن.

ولقد تم تدارك هذا الخطأ وتصحيحه - منهجياً على الأقل - في عام ١٧٧٢، حين قام دافيد فريدريش ميجرلين David Friedrich Megerlin بترجمة القرآن من اللغة العربية، ونشر الترجمة بعنوان «الكتاب المقدس للأتراك». وهذه الترجمة هي التي قربت الشاعر جوته من الإسلام، بعد أن دفعه هيردر إلى قراءتها، حتى إن بعضهم يتصور إلى الآن أنه تحول إلى الإسلام في صمت تام. ومن المعروف عن جوته، أنه كان يعتقد في الله أنه علة أولى لكل شيء. ولقد ترك جوته في عمله الشعري (الديوان الغربي - الشرقي» ملاحظة تفيد أن «الشاعر لا يستبعد هو نفسه أن يكون مسلماً»[١]. ولك أن تتخيل مدى سعادة جوته، لو كان قدر له أن يقرأ المحاولة، الوحيدة من نوعها حتى الآن، التي قام بها الشاعر المستشرق فريدريك روكيرت Friedrich Ruckert من ترجمة القرآن إلى شعر ألماني [٢]. ومنذ ذلك التاريخ، ظهرت نحو ٢٠ ترجمة ألمانية للقرآن، منها ست ترجمات متداولة الآن في المكتبات، من بينها ترجمتان فقط لكتَّاب مسلمين[٣].

تتضاءل كل الاتصالات الألمانية - الإسلامية السابقة، وتكاد تفقد بريقها ورونقها وأهميتها، بل ربما يكون عليها أن تتوارى، بالقياس إلى الاتصالات الجارية في الوقت الحاضر، من حيث نوعها وكثافتها. فالمرء لا يلتقي اليوم

(١) انظر السلسلة المكونة من ١٩ جزءاً التي تحمل عنوان «الإسلام وجوته»، بقلم أحمد فون دنفر، والمنشورة في جريدة الإسلام، ميونخ (١٩٩٠)، عدد ١ - ١٩٩٤، وعدد ٤ ص ٢٨ لعام ١٩٩٠، ففي عمل جوته «الشعر والحقيقة» يقول: «ماكنت لأعد محمداً محتالاً أبداً».

لقد سبقنا جوته حتى في هذا. انظر أعمال جوته (دار نشر إنزل)، فرانكفورت (١٩٩٣). المجلد ٥، ص ٥٦٩.

(٢) فريدريك روكيرت «القرآن»، فرانكفورت (١٨٨٨)، إعادة طبع هلدسهايم (١٩٨٠).

(٣) محمد رسول (انظرهامش رقم (١) ص ١٣٧)، والترجمة الجماعية التي قامت بها دار نشر بافاريا SRD بميونخ في ٥ أجزاء (١٩٩٦).

بالإسلام في ألمانيا من قبيل الصادفة من حين إلى آخر، على نحو ما حدث لجوته عام ١٨١٤ في صورة جنود روس من باشكريستان، وإنما يكاد يلتقي به في كل خطوة يخطوها. فاليوم، يعيش بيننا نحو مليوني مسلم. والوضع نفسه يجده المرء في إنجلترا، وفي فرنسا، وفي بلجيكا، وفي هولندا. ويجري اليوم بناء مساجد هائلة في كل مكان في باريس، ولندن، وروما، وفينا، وزغرب، وقرطبة، وحتى في مانهايم وفورتهايم.

تعتنق الإسلام اليوم أعداد متزايدة من الأوربيين في جميع بلدان أوربا. وأصبح اعتناق الإسلام يمثل في الآونة الأخيرة ظاهرة، بعد أن كان من قبل حالات فردية، كما في حالة محمد أسد (ليوبولد فايس)، أو الصوفي فريزوف شون. واليوم يجتذب الإسلام شخصيات من كل المجالات، فتعتنقه وتتحول إليه. ففي مجال موسيقى البوب: يوسف إسلام (كات ستيفنس (Catstevens)، وفي مجال الرقص: موريس بيجار، وفي مجال الرياضة محمد علي كلاي (كاسيوس كلاي)، وفي مجال السياسة: رجاء (روجيه) جارودي. وفي ألمانيا اعتنق الإسلام ٥٠ ألفاً من السكان من أصول ألمانية.

يطرح هذا التطور مجموعة من الأسئلة، هي:

- إلى أي من الطبقات، ينتمي هؤلاء الذين تحولوا إلى الدين الإسلامي؟
- ما دوافعهم؟
- ما صورة تنظيمهم؟
- ما موقف الحكومة من الاعتراف بهم؟
- ما المشكلات التي تواجههم فيما يختص بالمدارس، والطعام، والعطلات، والصوم، وبناء المساجد، ومراسم الدفن؟

- هل يستطيع المرء أن يعيش مسلماً في ألمانيا، ويمارس حياته بشكل طبيعي؟
- سأحاول الإجابة عن هذه التساؤلات في السطور التالية:

يتوافر حتى الآن مرجعان من الأسباب والطرائق التي تؤدي بالأوربيين إلى اعتناق الإسلام. أحد هذين المرجعين ألماني، أما الآخر فهو دولي.

فلقد قامت الكاتبتان: فاطيما شرقاوي Fatima Cherqaoui وليزابث روشيه Lis-abeth Rocher بتوجيه سؤال إلى عديد من المسلمين الأوربيين والأمريكيين - من خلال نموذج ثابت - عن الطرائق التي أدت بهم إلى اعتناق الإسلام. ومن بين الألمان الذين وجه إليهم هذا السؤال:

Eva El Shavassy' Mohammad Hobohm' Arifa Gaspari

وضمنت الكاتبتان تحليلهما للإجابات التي تلقتها عن سؤالهما كتاباً أنيقاً ذكياً هو "D'une foi L' autre" أي «من دين إلى آخر»[1].

أما الكتاب الثاني، وعنوانه «ألمان هداهم الله»، الذي أشرف على إعداده محمد أحمد رسول، فما هو إلا جمع مادة، وصف شخصي للتحول إلى الإسلام. ومن بين من وصفوا تجربتهم هذه Hassan Ndayisenga ' Frank Ab-dullah و Bubenheim Fatima Heeren (Grimm.)[2].

وبالرجوع إلى الكتابين ، تبين عدم وجود طرائق بعينها تدفع الإنسان وتؤدي به إلى الإسلام، وإنما هناك دروب شخصية عديدة لا حصر لها تدفع إليه.

وبالرجوع إلى كلمات Rocher' Cherqaoui، يتبين أن المسلمين الأوربيين يلبون

(١) سيل. باريس (١٩٨٦).

(٢) دار نشر المكتبة الإسلامية، كولونيا (١٩٨٢).

اليوم نداءً داخلياً، كما حدث مع أسلافهم العظام، أمثال الشيخ رينيه جينو Rene Guenon (١٨٨٦ - ١٩٥١)، ومحمد أسد (١٩٠٠ - ١٩٩٢) الذي فسر اعتناقه الدين الإسلامي بأنه نتاج عملية نضج.

ويمكننا، بالرغم من ذلك، تقسيم الألمان الذين اعتنقوا الإسلام إلى أربع مجموعات سأسميها بغرض التيسير: «ألمان أجانب»، و «أزواج»و «أعضاء جماعات الخضر»، و« علماء الإسلام».

أعني «بالألمان الأجانب» ألماناً يعملون في تونس أو في أي بلد إسلامي آخر. وهؤلاء وجدوا طريقهم إلى الإسلام من خلال إقامتهم في هذه البلدان. وتضم هذه المجموعة مهندسين وفنيين وعمال صيانة وتركيب وخبراء في مختلف المجالات والتخصصات، وهم هؤلاء الذين تدفع بهم الـ (GTZ) هيئة التعاون الفني الألمانية إلى مختلف أرجاء العالم. ويشاركهم هذه الحال أعضاء السلك الدبلوماسي العاملون في سفاراتنا بالخارج والملحقون العسكريون.

والمجموعة الثانية، وهي «الأزواج» تضم الألمان الذين أحبوا مسلمات، ولم يكن يجوز لهم الزواج منهن إلا بعد إسلامهم. ولقد قبل بعضهم اعتناق الإسلام ليظفر بزوجته فقط لا غير. ولكن من يمد لله إصبعاً، فسيأخذ الله بيده إلى الطريق المستقيم.

أما المجموعة الثالثة، فغالباً ما تضم شباباً يعترض على انحرافات المجتمع الصناعي الحديث، ويريد أن يهرب من هذا المجتمع، ويبحث بالتالي عن مخرج أيديولوجي. فهؤلاء يبحثون عن مجتمع عالمي أكثر عدلاً، تسوده أخلاق رفيعة.. مجتمع يخلو من تقسيمات وتدرجات هرمية معقدة... مجتمع يبعث

وينشر الدفء الإنساني . . مجتمع يوفر للإنسان السند، ويمنح الحياة معنى عميقاً . . . تلك الحياة التي فقدت قيمها وأهميتها . وينحاز «الخضر» ممن اعتنقوا الإسلام إلى الجماعةالإسلامية بألمانيا، ويميلون إليها، لأنهم يجدون فيها البيئة الدولية – خاصة مع أناس من العالم الثالث – التي يقدرونها كثيراً .

تمر رحلة الوصول إلى الإسلام أحياناً عبر طرق ودروب غير مباشرة . . . ليس هذا فحسب، بل وعبر طرق تثير الدهشة والعجب . فالانضمام لعضوية جماعة اشتراكية، أو مغازلة البوذية، تعد إحدى الخطوات المعتادة، بل التقليدية، التي تصل بهؤلاء الناس عاجلاً أو آجلاً إلى المحطة النهائية . . إلى الإسلام .

والمجموعة الرابعة والأخيرة، وهي «علماء الإسلام» المتخصصون في الدراسات الإسلامية، تتكون من طلبة نحو ١٩ جامعة ألمانية، تضم كل واحدة منها قسماً للدراسات الإسلامية .

هؤلاء الطلبة يقدمون على دراسة الاستشراق لانجذابهم وشعورهم بميل للمنطقة العربية – الإسلامية . وما تلبث الدراسة أن تصبح أكثر من مجرد مواد تدرس، أو تصبح تلبية لنداء داخلي .

يستيقظ كثير من المسلمين الجدد ذات يوم، ليجدوا أنفسهم وقد اعتنقوا هذا الدين . . الإسلام .

وقد علقت المسلمة الفرنسية، إيفا ميروفيتش، التي تحظى بمكانة مرموقة، على هذه العمل، ووصفتها بقولها : «لا يعتنق المرء الإسلام، بل يتخذ ديناً يضم جميع الأديان الأخرى» .[1] .

(١) نقلاً عن ليزابث روشيه، وفاطيما شرقاوي : «من عقيدة لأخرى»، باريس (١٩٨٦) ص ٢٠ .

ويبدو على مظهر معظم المسلمين الألمان، أنهم اعتنقوا هذا الدين من خلال صلة أو علاقة ربطتهم ببلد عربي أو بتركيا أو بباكستان، حيث يتكون لدى بعضهم إعجاب بل انبهار بالشرق، يظهر من خلال ملبسه. فقسم منهم يرتدي الجلباب الواسع، رغبة منه في التشبه والاقتداء بالرسول ﷺ حتى في المظهر الخارجي. ويغالي قسم آخر في هذا الأمر، فيرتدي عمامة.

ولقد لاحظ أحمد شميده أن بعضاً يتعامل مع اللغة الألمانية بشكل يمثل ظاهرة «تطفل حضاري»، فيقحم عليها الكثير من الكلمات العربية[1].

وإني أتفهم بطبيعة الحال رغبة المسلم حديث الإسلام في أن يظهر للعالم حوله، خصوصاً العالم المختلف عنه في الاعتقاد، أن تغييراً ما قد أصابه أو لحق به. ويرغب أيضاً في أن يتعرف عليه المسلمون الآخرون كأخ لهم في جماعتهم. ولكنني أرى أنه من غير المجدي أن يسلك الألماني، الذي يعيش في وسط أوربا في القرن العشرين مسلك عرب منطقة الحجاز في القرن السابع، سواء أكان ذلك في ملبسهم، أم في مأكلهم، أم في غيرهما، لأنه بذلك يصبح «غريباً داخل وطنه» (عبيد الله بوريك). وهذا النهج، يحول الإسلام إلى ثقافة فرعية، بل إلى أحد أشكال الفولكلور الديني. وهذا يصيب الإسلام بلا شك بأضرار بالغة.

يحيا المسلم هنا دائماً مهدداً بأن يلقى معاملة العمال الأجانب. وبالتالي، يتعرض للتفرقة والتمييز في المعاملة. ويدفعه هذا إلى الانزلاق إلى حياة الجيتو. وهذا الوضع لا يليق البتة بالإسلام. فربما يحيا الإسلام ديناً سرّيًّا في الخفاء، في ظل نظام ديكتاتوري، ولكن ليس في ظل نظام ديمقراطي.

(١) أحمد فون دنفر: (ed) «الإسلام هنا واليوم»، كولونيا (١٩٨١) ص ٧٣.

وتشكل هذه الإشكالية موضوعاً لمناقشات عارمة ومستمرة بين المسلمين الألمان. والسؤال الذي يطرح نفسه دائماً: ما وطن المسلم الألماني؟ هل يجب عليه أن يهاجر من أرض لا تعرف الله، إلى أرض يعبد فيها الله، كما فعل الرسول ﷺ عام ٦٢٠م؟ ولكن إذا كانت ألمانيا وطنه - وهي كذلك فعلاً - ألا يستطيع أن يبدو ألمانياً في ملبسه دون الشعور بالذنب؟ (وإذا أطلق لحيته سنّة عن الرسول يكون ذلك أفضل).

ولقد أثرى عبد الله بوريك Abdulla Borek المناقشة بالورقة التي قدمها في اللقاء الثاني والأربعين للمسلمين المتحدثين بالألمانية، في ليتزلباخ، يوم ٨من يونية عام ١٩٩١[1] وكان عنوانها: «في وضع المسلمين الألمان». ولقد أطلق تحذيراً - وبحق - من أن يصير الإسلام، ذلك الدين العالمي، بمعتقديه المليار ديناً للثقافة والسياسة التركيتين (ومن ثم نكون كمن يغذي الفكرة السابقة، التي تبناها يوماً ما مترجما القرآن ميزلين وشفايجر في القرنين الرابع عشر والثامن عشر، حينما عدّا القرآن «كتاب الأتراك المقدس»). ويعتقد بوريك بضرورة أن يحمل مسلمون ألمان شعلة الإسلام في ألمانيا، حتى لا يستمر النظر إليه بوصفه «ديناً أجنبياً»، ويذكر بحقيقة أن الإسلام قد تزاوج على مر التاريخ مع مختلف الحضارات: العربية، والفارسية، والهندية، والإندونيسية، والتركية وحضارة البربر. فلماذا لا يكون لدينا «إسلام ذو ملامح أوربية»؟

ولقد أثارت هذه المحاضرة جدلاً كبيراً بصدد نقطتين وردتا فيها. إنني أتفق مع بوريك Borek في مدخله النظري ومنطلقات أفكاره. فلماذا لا يكتسب الإسلام صبغة أوربية، من خلال تداخله وجدله مع الحضارة الأوربية، طالما أنه لن يتحول

(١) نشر النص كاملاً في جريدة: «الإسلام» ميونيخ، (١٩٩١) العدد ٢.

إلى إسلام أوربي إصلاحي؟! أي طالما أن وحدة الإيمان والدين لن تمس؟ فمسلمو أمريكا وأوربا لديهم الكثير ليضيفوه للإسلام، ويثروا به هذا الدين، لأنهم لا يخفون فضولهم وشكوكهم. فهم لا يضخون إلى الإسلام دماءً جديدة فحسب، بل ينظرون إليه بعيون جديدة أيضاً. ونظراً لعدم تعرضهم للتربية التي تُخضع المرء للسلطة الدينية المنتشرة في البلاد الإسلامية، فإنني أراهم بلا شك مهيئين - إن لم يكن علمياً، فعلى الأقل نفسياً - لا لطرق أبواب الاجتهاد التي ظلت مغلقة مدة طويلة فحسب، بل لا جتيازها أيضاً.

وإنني أصل إلى هذه النتيجة دون أن أدعي - كما فعل غيري - أن الإسلام الحقيقي لا يوجد الآن فيما يسمى بالعالم الإسلامي، وإنما يوجد في أوربا والولايات المتحدة. ولقد عبر المسلم الفرنسي جون كارتيجني John Cartigny عن هذا الرأي، بمقولة قصيرة تحمل قدراً غير ضئيل من الاستفزاز، هي: «الإسلام الحقيقي تجده في المنفى». وتنطلق وجهة النظر الصوفية الأوربية هذه من حقيقة مفادها أن الإسلام ليس شأناً فردياً فحسب، بل لابد أيضاً من أن يعاود المرء دائماً الرجوع إلى الإسلام، «ومن أن يعاود اعتناق الإسلام».

ولكن، مما يدفع المرء إلى التفكير، أن يصرح لي رجل يتسم تفكيره بالواقعية الشديدة، مثل محمد أسد، في أخريات حياته، بشكه في أنه - إذا ما عاد إلى شبابه - سيجد طريقه إلى اعتناق الإسلام في العالم الإسلامي اليوم. ولقد عبر في مرارة شديدة عن الرأي، الذي تردد أخيراً بشكل لافت للنظر، والقائل بأن الشرق يعج بأعداد غفيرة من المسلمين، ولكن بالقليل جداً من الإسلام، وأن بالغرب الكثير من الإسلام، ولكن بالقليل جداً من المسلمين.

وبالنظر إلى هذا الموقف، أتوقع أن تؤتي حركة الإحياء الديني، التي بدأت في القرن التاسع عشر ثمارها في القرن الحادي والعشرين، من خلال تعاون علماء

أوربيين وأمريكيين مع علماء عرب مستنيرين لا تنقصهم الجرأة والشجاعة، وبصفة خاصة من المصريين، إلى جانب علماء باكستانيين وماليزيين. ولقد هاجر بالفعل الكثير من هؤلاء من أوطانهم، واستقروا في الغرب... في لندن، وواشنطن، ولوس أنجيلوس، لأنهم يجدون هنا وهناك فقط العوامل والشروط الضرورية لنجاح العمل، دون أن يتعرضوا لرقابة ما أو خطر يهدد حياتهم.

إننا، إذا أردنا تقدم الإسلام بوصفه بديلاً حيوياً وحديثاً في عصرنا هذا، فعلينا - لتحقيق هذا الهدف - أن نجري عملية إصلاح هائلة، تتلخص في عدة نقاط:

١- مراجعة الأحاديث النبوية، وتنقيتها مما ألصق بها من دون وجه حق، وهذا ما فعله عباقرة المحدِّثين في وقتهم، مثل: مالك والبخاري ومسلم.

٢- فصل الشريعة - وهي جوهر حق الله غير القابل للتغيير - عن أعمال الفقهاء.

٣- توضيح وتحديد العلاقة بين القرآن والسنّة.

٤- فصل العناصر الثقافية والحضارية للتقاليد والعادات الإسلامية، عن جوهر الإسلام.

وهذه مهام، يصاب المرء بدوار شديد إذا ما فكر فيها مجتمعة[1]. ومع ذلك،

(١) أما ما يجب إنجازه، فتدلنا عليه قراءة الكتب الآتية: حسين أمين: «كتاب المسلمين» ١٦٨. (باللغة الفرنسية)، باريس، (بناءً على الطبعة العربية الصادرة عام ١٩٨٣). طه جابر: «القرآن والسنّة - عنصر الزمان والمكان»، هرندن (١٩٩١) (باللغة الإنجليزية). محمد أسد: «الدولة والحكومة في الإسلام» (باللغة الإنجليزية)، جبل طارق (١٩٦١). و«قانوننا هذا»، جبل طارق (١٩٨٧). محمد كاربال «المنح الدراسية الغربية والصحوة الإسلامية في العالم العربي»، المنشورة في المجلة الأمريكية للعلوم الاجتماعية الإسلامية»، هرندن، الجزء ١٠، العدد ١، ربيع عام ١٩٩٣. عمران أحسن خان نيازي: «نظريات في الشرع الإسلامي - منهج الاجتهاد» إسلام آباد (١٩٩٤). عبد الحميد أبو سليمان: «نحو نظرية إسلامية عن العلاقات الدولية»، الطبعة الثانية، هرندن (١٩٩٣) وإسهامي الخاص: «إسلام عام ألفين»، القاهرة (١٩٩٥)، مترافر باللغة العربية فقط.

فإنني أجد اقتراح بوريك الثاني مثيراً للمشكلات. فهو يقترح أن ينظم المسلمون من أصل ألماني أنفسهم في مجموعة ذات مصالح خاصة، تتمتع بتنظيم خاص، يعبر عن مصالحها في شكل «مجلس مركزي للمسلمين الألمان».

فأنا أرى أن هذا الاقتراح يتنافى تماماً مع مبدأ إسلامي أساسي وأصيل، هو عدم التفرقة بين المسلمين وفق أجناسهم، وألسنتهم، وقومياتهم. ونظراً لأن ٩٧٪ من المسلمين في ألمانيا من غير الألمان - وهو ما يشكل إزعاجاً شديداً من الناحية التنظيمية - فإن المسؤولين يستخدمون هذه النسبة - بترحاب شديد - لرفض قيام أي تنظيم على هذه الصورة المقترحة.

وبطبيعة الحال، فإن من الخطر إسقاط العداء للأجانب على الإسلام، كما أن شق وحدة الصف، وإشاعة الفرقة بين الأمة إلى ألمان وأجانب، لهو عمل قاتل وغير مثمر. فهل من المعقول أن نطلب من الأتراك الذين يشكلون أكثر من ٨٠٪ من المسلمين في ألمانيا، ويتحملون القسم الأعظم من تمويل الأنشطة الخاصة بالمسلمين بها، أن يمثلهم عامة الألمان؟!

إن على المسلمين الألمان أن يعملوا على الإعلاء من شأن الإسلام، وعلى الحصول على اعتراف به، متعاونين في ذلك مع إخوانهم وأخواتهم من الأجانب.

تقودنا هذه المناقشة إلى خلفيتها الحزينة، أي الانقسام المزعج الذي يعاني منه مسلمو ألمانيا. فالعمال الأجانب، ينظمون أنفسهم بطبيعة الحال وفق معايير قومية، إذ إن من الصعب أن يشعر المرء بأنه غريب. وإلى جانب ذلك، تقوم بعض الدول، التي تخشى الهجرة المضادة بتمويل الاتحادات الوطنية لمهاجريها.

ولكن مما يؤسف له، أن هذه التنظيمات تشهد انقسامات عرقية، وسياسية، ودينية. فالمرء ليس تركياً فحسب، بل هو أيضاً إما سني، وإما علوي... إما تركي من أصل كردي، وإما تركي من أصل شركسي.. إما صوفي، وإما متشدد.

وكل هذا في جانب، والأسئلة التالية في جانب آخر: ما موقفك من مصطفى كمال أتاتورك؟ ما موقفك من حزب «الرفاه الإسلامي»، ومن منظمة «رؤية العالم القومية: أوربا» التابعة لـ (IMGT) في كولونيا؟

ولهذا السبب، نشأت في أواسط الثمانينيات في برلين مظلة تجمع تحتها ٢٧ جماعة إسلامية. وأبلغ مثال تلحظه العين المجردة على الانقسامات داخل نسيج العمال الأجانب، هو تجاورمسجدين تركيين، أحدهما تموله الوحدة التركية الإسلامية (DITIB)، وهي مكتب خارجي لوزارة الأوقاف التركية، ولا يتردد عليه كثير من المصلين. أما المسجد الآخر، فيرعاه العمال الأجانب من الأتراك، أو على وجه الدقة (IMGT)، وهذا المسجد غالبًا ما يمتلئ عن آخره بالمصلين والرواد.

ويكمن السبب الرئيسي لهذه المأساة التنظيمية، في أن جميع الانقسامات التي يعاني منها العالم الإسلامي تنتقل مع المهاجرين إلى ألمانيا. فالخلافات بين أتباع المذهب السني وأتباع المذهب الشيعي، أو بين المتشددين والمتصوفة، والخلافات المشتعلة بين الحكومات، وبين الحكومات والمعارضات تجد طريقها إلى الأراضي الألمانية.

هل ترغب في رؤية مسجد للشيعة؟ إنك لست في حاجة إلى الذهاب إلى النجف.. فالطريق إلى هامبورج يفي بالغرض. هل ترغب في عقد مقارنة بين متصوفة طريقة النقشبندية السنّية، وطريقة بكتاظي (الملفقة من مدعي المسيحية

ومدعي الشيعية)؟ . . لا تسافر إلى الأناضول، فألمانيا تفي بالغرض. هل تريد إجراء حوار مع العلويين المميزين بمعاطفهم الخفيفة؟ . . هيا، لنقم بذلك هنا في الحال. هل ترغب في مقابلة ممثلين لمنظمة المؤتمر الإسلامي (OIC) – طائفة الأحمدية الباكستانية سابقاً؟ . يكفيك لتحقيق ذلك أن تقوم بزيارة قصيرة إلى فرانكفورت.

ينشأ المسلمون على فكرة أن التنوع – التعدد في الإسلام – تراث فيتبعونه. ولكن حتى هذا التراث يأخذ أحياناً أشكالاً مبالغاً فيها تصل إلى حد المغالاة. ولا تبدو صورة المسلمين من أصل ألماني أفضل من ذلك. فالمرء منا يعتقد أننا جميعاً فطرنا على الانعزال وإعلاء قيمة الفرد، ولكن أيّاً كانت قيمة وثراء إسهامات الأفراد؛ فإن الجماعة والفعل المشترك يُعدان من أهم مقومات الحياة الإسلامية.

من الجائز أن يقوم السكرتير العام لمنظمة المسلمين الألمان بأعمال مفيدة، وأن يؤدي القائم على أعمال أرشيف الإسلام[1] أعمالاً جليلة للإسلام من خلف مكتبه في Soest، ولكن المشاركة في حياة الجماعة تأخذ صورة أخرى، وتكتسب كذلك قيمة عظمى.

غير أنه لا يجوز بطبيعة الحال أن نأخذ على الشيعة الألمان إدارتهم لمركز خاص بهم، وإصدارهم صحيفة ناطقة بلسانهم في هامبورج[2]. ومن الطبيعي كذلك

(١) عنوان المعهد المركزي إسلام – أرشيف ألمانيا سويست ٥٩٤٩٤ ش بريد رقم ١٦. ت ١٤١١٦ (٠٢٩٢١). وتصدر عن هذه الدار «المجلة المسلمة» المدير: م. س. عبد الله.

(٢) عنوان المركز الإسلامي (الشيعي) وجامع الكبير التابع له ش: شونه أوسنريشت ٣٦، هامبورج ٢٢٠٨٥. ت: ٤٧٨٠٤١ (٠٤٠). ويدير المركز د. علي عماري. وتصدر عنه جريدة «الفجر» ت (٢٢١٢٢٠).

أن يكون للمتصوفة مركز ودار نشر خاصة بهم[1]، على الرغم من أن دورهم محدود جداً إذا ما قورن بالدور الذي يقوم به المتصوفة في بلد الجوار فرنسا، حيث يتبع معظم معتنقي الإسلام نهج ابن عربي (ولد في مرسية ١١٦٥، وتوفي بدمشق عام ١٢٤٠) الملقب بـ «الشيخ الأكبر». (تعود بدايات هذه الظاهرة إلى رينيه جينون الذي عرف فيما بعد بالشيخ عبد الواحد يحيى شيخ الطريقة الشاذلية). ويتحرك المتصوفة الفرنسيون المحدثون من أمثال Michel Chodkiewicz Eva Vitray Charles Andre Gtelis Meyerovitch مثل معلمهم ابن عربي في منطقة الحدود التأملية بين الغنوصية الضاربة بجذورها في أعماق الفلسفة الإغريقية (أي معرفة الله) ومذهب وحدة الوجود.

وتختلف الصورة كلية إذا ما انتقلنا إلى ألمانيا. فبفضل التأثيرات التركية، غالباً ما يتبع المتصوفة مذهب دراويش النقشبندية المتشددين، الذين ترجع نشأتهم إلى منطقة وسط آسيا. ولذلك، فليس من قبيل المصادفة أن تكتب المتصوفة الألمانية Michaela Mihibran Ozelsel أكثر الكتب علمية وعقلانية عن التصوف الإسلامي[2].

(١) المقصود هنا: جماعة الطرق الصوفية بألمانيا، التي أسسها الألماني حسن عبد الفتاح في زالتسها وزن بشمالي ألمانيا، ويصدر عنها مجلة «صوفي».

أما دار نشر تربان (يعني العمامة «مترجم») في بوندورف في منطقة الغابة السوداء، فتتبع طريقة النقشبندي. انظر تعاليم الصوفي ناظم عدل الحقاني التي صدرت عن هذه الدار، في كتاب يحمل عنوان: «درب رفقاء الطريق»، بوندورف (١٩٩١).

العنوان ش شول رقم ١٥ بوندورف ٧٩٨٤٨ت: ٩٤١٥(٠٧٦٥٣).

(٢) انظر ميشائله أتسلمزل: «٤٠ يوماً – تقرير عن تجربتي وسط جماعة دراويش تقليدية» ميونخ الطبعة الثانية (١٩٩٥).

إننا نعتقد أن هناك ٨ أو ٩ مجلات إسلامية تصدر في ألمانيا، من بينها «المجلة المسلمة» التي صدرت عام ١٩٢٤ في حجمها الصغير، وكذلك المجلة النسائية الإسلامية «هدى» التي تصدر في مدينة بريمن، و «الجريدة الإسلامية» التي تصدر في مدينة فايمار.

وعلى الجانب الآخر، هناك إصدارات متفرقة، يتخطى توزيعها منطقة طباعتها، مثل: «الإسلام»، و «الإسلام الآن». وهذه الإصدارات تطبع في ميونخ وتعد أكثر المطبوعات الإسلامية انتشاراً وأكثرها حيوية، وأعظمها أهمية في ألمانيا[١].

أما وجود دور نشر، مثل «المكتبة الإسلامية» köln Dünnwald[٢] و «S.K.D – بافاريا»[٣] بميونخ، فهو أبلغ دليل على وجود دور نشر يدير كلاً منها رجل واحد، وتعاني من ضآلة رأس المال والتخلف التكنولوجي، بدلاً من وجود دار نشر إسلامية كبرى حديثة، قادرة على تحقيق إنجازات كبيرة.

وثمة سلبية أخرى للعمل الفردي، تتمثل في اللجوء إلى بعض «الخداع المهذب»، أو «الكذب الدبلوماسي». فلك أن تتخيل وضعك متحدثاً عن القسم الألماني بالمؤتمر الإسلامي العالمي (الذي فقد أهميته)، أو رابطة المسلمين الألمان.[٤] فلقد كانت المنظمتان وما تزالان حتى الآن ذواتي نفع كبير، ولكنهما

(١) «الإسلام»، شارع فالنر رقم ١ – ٥ ميونخ ٨٠٩٣٩. ت: ٦٢/ ٣٢٥٠٦١(٠٨٩).

(٢) دار نشر المكتبة الإسلامية، ص.ب ٨٣٠١٣٥. كولونيا ٥١٠٣٤. ت: ٦٠٣١١١ (٠٢٢١). مدير الدار: م.ا. رسول.

(٣) دار نشر S R D، بافاريا: ص.ب: ٤٣١٠٢٩. ميونخ ٨٠٦٤٠. ت ٣٩٢٠٨٨ (٠٨٩) مدير الدار: د.أ. خفاجي.

(٤) رابطة المسلمين الألمان. ص.ب. ٢٠٢٢١٧. هامبورج ٢٠٢١٥. مدير الأعمال: عبد الله بوريك Ab-dullah Borek.

أقرب إلى دائرة أصدقاء صغيرة ذات اسم كبير، وبالتالي فقدتا الكثير من فاعليتهما.

أما مبادرة محيي الدين لودن، التي قام بها عام ١٩٨٩، لإنشاء حزب إسلامي[١] على مستوى ألمانيا كلها، فقد ماتت في مهدها ولم تر النور. ولقد كانت في حقيقة الأمر أكبر بكثير مما يتحمله واقع الحياة في ألمانيا، حيث يوجد ٥٠ ألف مسلم فقط يتمتعون بحق ا لانتخاب. ففي مقاطعة Nararhein Westgalen، حيث يتركز غالبية المسلمين الألمان (١٤ ألفاً تقريباً)، يكون حزب كهذا بلا فاعلية أو فائدة تذكر.

إذا أراد المسلمون في ألمانيا أن ينالوا الاعتراف بهم، فإن عليهم إقناع الناس بأن يأخذوهم مأخذ الجد. وإذا رغب المسلمون في تحقيق هذا، وجب عليهم في المقام الأول أن يحذروا من أدنى شبهات الدجل والاحتيال والنفاق في عملهم.

أما أهدافهم السياسية، فلا يمكن تحقيقها - في المستقبل القريب - إلا من خلال الأحزاب السياسية الموجودة بالفعل على الخريطة السياسية الألمانية، حتى وإن لم يتفقوا مع كل ما تتضمنه برامجها السياسية، وأن يتم مع ذلك العمل بشكل ثابت على أن يكون هناك تفهم للإسلام، وعلى الاعتراف به، والعمل على نشره. وتقوم جماعة من النساء والرجال بالعمل بجد ونشاط على تحقيق هذه الأهداف من أمثال:

Ahmad von Denffer, Muhammad Siddiq,Harun Behr Fatima Grimm, Dr Mehmet, Amina Erbakan Hobhom, Muhammad Aman Hofohm, Hassan

(١) قام أ. د. محيي الدين لودن، عام ١٩٨٩، بتوجيه الدعوة للعمل في هذه المنظمة في جريدة «الإسلام»، العدد ١، والتي تصدر في ميونخ. ولكن دعوته ذهبت أدراج الريح.

Haache, Abdulkarim grimm,Dr. Ayubhköhler وكـذلك بعض المؤسسات مثل: «بيت الإسلام» في VC Odenwald ونزل دار السلام التابع له، والذي يتمتع بإدارة إسلامية والعديد من المراكز الإسلامية الأخرى المنتشرة في ألمانيا من آخن شمالاً إلى ميونخ جنوباً، ومن كارلسروهة إلى برلين[1].

ويتسم مناخ العمل في هذه المؤسسات والمراكز بالإصرار والعزم على إعلاء كلمة الله، وذلك دون مزايدات أو صراع. فهي تعقد مؤتمراً تلو الآخر، وتقيم معسكرات للشباب، وتنظم أسابيع إعلامية بشكل مكثف، إلى جانب تنظيم رحلة حج تلو الأخرى. وفي كل ذلك، يجري العمل بإيمان عميق، وتفانٍ منقطع النظير، ولا ينقصه الإخلاص ولا الأمانة والأخوة، ويطلق على هذا الأسلوب من أساليب العمل: العمل من القاعدة، أي رعاية جذور الشجرة بصبر وتأنٍ، بدلاً من الرغبة في جني ثمارها حتى من قبل أن تنمو.

إنني أشيد بنشاط الجماعة الإسلامية بميونخ، التي تتأثر كثيراً في عملها بالكاريزما التي تتمتع بها شخصية أحمد فون دنفر. وليس من قبيل المصادفة، أن تقام أولى دور الحضانة الإسلامية وأول مدرسة ابتدائية إسلامية في ألمانيا بميونخ. وتضم المدينة، بالإضافة إلى ذلك، أول مركز للخدمة العامة بصيغتها الإسلامية، كما تتخذ منها هيئة تحرير مجلة «الإسلام» مقراً لها. وهي إلى جانب ذلك، تضم المركز الرئيس للكشافة الإسلامية[2]، والمركز الرئيس لمنظمة المعونة والإغاثة:

(١) بيت/ دار الإسلام: ش شيلر رقم ٤٦. ليتزلباخ ٦٤٦٥٠، ت: ١٣٤٨ (٠٦١٦٥). المدير: محمد صديق.

(٢) تكونت عام ١٩٨٨، ويقوم تيلمان شايبله برعايتها، وترفع شعار: «الله أكبر – على استعداد دائم». وشعارهم يحوطه هلال ونجمة خماسية.

«المسلمون يتعاونون». كل هذه المؤسسات في ميونخ، أو بالقرب منها[1].

لم يكن من قبيل المصادفة إذن أن يكون للمركز الإسلامي بميونخ، وكذلك للجماعة الإسلامية في جنوبي ألمانيا، الحق بل السلطة - في أثناء مسألة سلمان رشدي - في إدانة واستنكار التهديد بالقتل، الذي أطلقته السلطات الإيرانية الشيعية، ضد الكاتب المجدف سلمان رشدي. ولقد قامت الجماعة باتخاذ الموقف اللائق، والرد قولاً وفعلاً على هذا الأمر[2].

وفيما يختص بالأشكال التنظيمية للمسلمين في ألمانيا، تمثل (TDM) «لقاءات المسلمين الناطقين بالألمانية»، التي أخذت شكل المؤسسة، تطوراً إيجابياً، ليس فقط من المنظور التنظيمي، بل وأيضاً بما تحققه بالفعل من أهداف.

ولا يمكن ذكر هذه اللقاءات، دون الإشارة إلى الإسهامات القيمة لكل من أحمد فون دنفر ومحمد صديق. وتعقد هذه اللقاءات سنوياً منذ عام ١٩٧٦، ثم صارت تعقد من منذ عام ١٩٨١ ثلاث مرات في العام الواحد. ولقد كثر عقد هذه اللقاءات، حتى إنه تعقد الآن - بالإضافة إلى اللقاءات المركزية - عدة لقاءات محلية في العام الواحد.

---

(١) هذه المؤسسة، تتعاون مع المؤسسة المماثلة لها في لندن: معونة المسلم. ولقد قامت المؤسسة بتوفير المواد الغذائية والأدوية للاجئين من البوسنة والسودان. العنوان: ص ب ١٦٠٧، جارشنج ٨٥٧٤٠. ت: ٣٢٦١٩٨١ (٠٨٩). رقم حساب لتلقي المعونات: بوستجيرو أمت فرانكفورت، رقم حساب ٦٠٤ - ٦٥٦٩ (٥٠٠١٠٠٦٠ BLZ).

(٢) أعلن أحمد فون دنفر وقتها، أن فتوى الخوميني غير ملزمة لأي فرد، وأن حكم الخوميني يستند إلى خطأ قانوني، حيث إن تهمة الردة لا يجب أن تتساوى مع الخيانة العظمى. ولقد ذكر في رسالة عامة قوله: «نحن لا نرحب بتهديد القتل الصادر عن إيران». انظر مجلة: الإسلام، ميونخ (١٩٨٩)، عدد: ١ (واحد)، ص٩، ص ١٩.

هذه اللقاءات مُدت فيها، منذ وقت مبكر، الجسور بين المسلمين ووضعت هذه اللقاءات نصب عينيها محاولة إيجاد حلول للمشكلات الملحة التي تواجه المسلمين في ألمانيا، مثل: الدروس الدينية بالمدارس، ومراجعة الكتب المدرسية وإعادة النظر فيها، وإقامة مظلة تضم مسلمي ألمانيا كافة[١].

ولقد كنت أشارك في المدة من (١٩٨٠- ١٩٨٧) في اللقاءات الشتوية بمسجد بلال في مدينة آخن. ولقد عادت هذه اللقاءات عليّ بمكاسب طائلة، خصوصاً تلك اللقاءات التي تعقد في عطلة نهاية الأسبوع، ولا يعود ذلك إلى المحاضرات مجموعات العمل ومعارض الكتب فقط، بل وأيضاً إلى لقائي بمسلمين جدد، وكذلك لمتعة الأحاديث المتجددة والشائقة، والتي نتجاذب أطرافها حين تضمّنا مائدة طعام واحدة، حيث كان كل منا يضيف للآخر شيئاً جديداً.

وتمتاز هذه اللقاءات بالتنويع، لأن معظم المشاركين فيها مسلمون أجانب، ينتهزون هذه الفرصة لارتداء أزيائهم الوطنية. وتستطيع أيضاً أن تتبين من هيئة بعض المسلمين الألمان ما إذا كان الذين عاونوهم في التعرف على الإسلام عرباً، أو أتراكاً، أو باكستانيين[٢]، حيث يتأثرون بهم حتى في ملبسهم.

كانت هذه اللقاءات تضم، بالإضافة إلى المسلمين، ملاحظين ومراقبين من المكتب الاتحادي لحماية الدستور. وكان هؤلاء يستمتعون بهذه اللقاءات، ويجدون فيها قدراً غير قليل من السعادة.

يواجه المسلم في ألمانيا دائماً خطر الدخول في صراع مع العالم المحيط به،

(١) انظر أحمد فون دنفر (ED): الإسلام هنا واليوم. أوراق من لقاءات المسلمين المتحدثين بالألمانية ١-١٢ (١٩٧٦ - ١٩٨١) كولونيا: (١٩٨١).

(٢) أحمد فون دنفر. انظرالمرجع السابق.

والصدام مع من يقاسمونه الحياة في هذا البلد. فهو يسبح ضد التيار السائد، ويحيا وفق منظومة قيم مغايرة لمنظومة القيم التي يتبناها السواد الأعظم من مواطني هذا البلد. ومن مظاهر هذه المشكلات، عدم السماح للعامل بأداء الصلاة في مكان عمله وفي أثناء مواعيد العمل، وعدم توافر مواد غذائية يحل للمسلم تناولها بمحالّ بيع الطعام، وصعوبة الحصول على لحوم ذبحت وفق الشريعة الإسلامية لتناولها بالمنزل.

أما النصيب الأوفر من هذه المشكلات، والقدر الأكبر من الأضرار الناجمة عنها، فينالهما الأطفال. فالفتيات، يتعرضن للسخرية، بسبب ارتدائهن الحجاب، أو لامتناعهن عن دروس السباحة المشتركة مع الفتيان، أو لرفضهن ارتداء ملابس بحر مكونة من قطعتين، وهو الأمر الذي يعرضهن للمساءلة أمام محكمة القضاء الإداري، ومن دواعي سروري، أن محكمة القضاء الإداري بميونخ، أقرت في عام ١٩٩٠ أنه فيما يخص دروس السباحة المختلطة، فإن حق التربية الذي يتمتع به الوالدان يمكن أن يحد من واجبات وتكاليف التربية التي تتمتع بها الحكومة، وبصفة خاصة إذا ما استند الوالدان إلى أسباب دينية. هذه الواقعة، تلتها حادثة أخرى عام ١٩٩١، حيث أعفت محكمة القضاء الإداري في مدينة بريمن تلميذة تركية من حضور دروس الألعاب الرياضية المشتركة للسبب ذاته – أسباب دينية – أما أكثر ما أسعدني، فهو قرار المحكمة بأن تفسير القرآن شأن يخص الوالدين، وليس المسؤولين أو المحكمة، أي إنه ليس من حق أحد من غير المسلمين أن يفرض على الوالدين التركيين تفسيراً للقرآن.

يعاني الأطفال المسلمون أكثر ما يعانون في أثناء دروس التاريخ، بسبب التشويه والافتراءات التي يتعرض لها الإسلام وتاريخه على صفحات كتبهم

المدرسية. ولقد تكونت في اللقاء الخامس للمسلمين الألمان عام ١٩٧٧ مجموعة عمل لتصحيح هذا الوضع. وتحمل هذا المجموعة اسم «كتاب مدرسي» وانبثق عنها في كولونيا مشروع بحثي عن الإسلام في الكتب المدرسية في ألمانيا الاتحادية. ويقوم عبد الجواد الفلاتوري بدفع هذا المشروع وتدعيمه، ويشاركه في هذا بعض الشخصيات غير المسلمة مثل: Udo Tworuschka, Peter Hans Oalking

ولقد قامت هذه المجموعة بتحليل نحو ٦٠٠ كتاب مدرسي مصرح بها في المدة ما بين ١٩٧٩، ١٩٨٦، في مواد التاريخ، والجغرافيا، والمذهبين الكاثوليكي والبروتستانتي[١]. وجاءت النتائج لتثير إزعاجاً كبيراً ومخاوف هائلة، إذ أعادت إلى أذهاننا مدى قدرة الفرد على ارتكاب جرائم مروعة وهو جالس خلف مكتبه، ومن خلال ممارسات بيروقراطية وإصدار أوامر، دون أن تمس يده إحدى ضحاياه (نسبة إلى إيهمان وتسببه في قتل أعداد كبيرة من اليهود، من خلال إصداره قرارات بعينها، وذلك دون أن يمس إنساناً واحداً بيديه). فهل نستطيع، بعد مراجعة الكتب، أن نستبعد من مضمونها ومحتوياتها ما ينطوي على تصوير سلبي للإسلام، يُعدّ أحد دوافع العنف ضد المسلمين، أو أحد أسباب كراهية الألمان المستمرة للإسلام، والتي ترتب عليها محاولة إحراق المركز الإسلامي بميونخ عام ١٩٩٤؟

قام فلاتوري، استناداً إلى هذا التحليل، بنشر عدة اقتراحات محددة، بغرض تحقيق تناول الإسلام وتاريخه تناولاً موضوعياً في كتبنا المدرسية[٢].

(١) انظر: دراسات في الأبحاث الدولية للكتب المدرسية، مجلد ٥٣: «الإسلام في الكتب المدرسية في جمهورية ألمانيا الاتحادية». هانز فوكنج ومجموعة من الباحثين: «تحليل لكتب الدين الكاثوليكية وتناول للإسلام»، براونشفايج (١٩٨٨).

(٢) عبد الجواد فلاتوري (ED): «الإسلام والتدريس بالمدارس. مساهمات للتربية المتداخلة الحضارات في أوربا». براونشفايج (٩١٩١).

وعلى الرغم من هذه المحاولات، فإن معاناة نحو ٥٠٠ ألف طفل مسلم في المدارس الألمانية ما تزال مستمرة، وذلك لأن تدريس مادة الدين الإسلامي بالمدارس الحكومية لم يصبح بعد أمراً طبيعياً مسلماً به، وذلك على الرغم مما أعلنه وزير التعليم Krollmann بمقاطعة هيسن في عام ١٩٨٤ من أن مساواة الإسلام بالكنائس المسيحية أمر دستوري(١).

وتدعي بعض البلدان الاتحادية أن تدريس مادة الدين الإسلامي بالمدارس، يتطلب الاعتراف أولاً بالدين الإسلامي ديناً لجماعة ما، متمتعة بالحقوق العامة.

وتعرب بلدان أخرى مثل Nordrhein Westfalen عن استعدادها لتدريس الدين الإسلامي، ولكن وفق منهج تحدده هي. وتقوم بلدان أخرى بتوفير فصول خاصة بالمدارس، لتدريس الدين الإسلامي. ولقد سمحت مقاطعة بايرن، في أول بادرة من نوعها، بإنشاء مدرسة خاصة للمسلمين تدعمها المقاطعة.

أما صيام العمال والأطفال خلال شهر رمضان، فيقابل بشيء غير قليل من التوجس وعدم الترحيب. ويسعد الأطفال أيما سعادة، إذا ما أعفوا يوماً واحداً من المدرسة في أثناء عيد الفطر.

أما مسألة المساجد وبنائها، فتثير الحزن في النفس، لما يتم من وضع العراقيل كافة في سبيل تحقيق ذلك، سواء تم ذلك بطرائق مشروعة أو غير مشروعة، ويتم هذا في حين تتعاون الجماعات الإسلامية لبناء الجوامع.

تتشابه البوسنة إلى حد كبير مع منطقة جبال الألب، بمقاطعة بايرون، من حيث طبيعة كل منهما. ولكن في حين تنسجم مئذنة جامع مع طبيعة البوسنة، فإنها

(١) جريدة فرانكفورتر ألجمانيه بدءاً من ٢١/ ٥/ ١٩٨٤.

على ما يبدو تتنافر بل تشوه طبيعة بايرن المسيحية. فأهل المقاطعة، يرون في مرأى مدخنة مصنع ينبعث منها الدخان بكثافة قيمة جمالية أكبر وأرقى من مرأى مئذنة.

وغالباً ما يضطر المرء لخوض غمار حرب في المحاكم، للحصول على تصريح البناء. ولقد شن أحد مواطني مدينة Kehi عام ١٩٨٩ حرباً صليبية شعواء لوقف بناء جامع، حتى إن حربه هذه وصلت آخر الأمر إلى المحكمة الإدارية الاتحادية. وقد طالب هذا المواطن المحكمة بحمايته من الإزعاج الذي يصيبه ليلاً، عندما يرتفع صوت الأذان ليدعو لصلاة الفجر. ولكن لسوء حظه، فإن الحي الذي يقطنه يعج بأماكن تنبعث منها الضوضاء، وبه كذلك كنيسة تدق أجراسها.

أما الشيء المخزي، فهو عملية المساومة بشأن ارتفاع المئذنة. حتى إذا ما أخذت تصريحاً لبناء جامع، فلا يجب أن يتعدى ارتفاع المئذنة ارتفاع برج الكنيسة المجاور. ويعد نجاح المسلمين في مدينة Pforzheim في بناء مئذنة يصل ارتفاعها إلى ٢٦ متراً إحدى معجزات التسامح. أما إخوانهم في Bobingen، فقد أرغموا على الحد من ارتفاع المئذنة، والوصول به من ٢٦ متراً إلى ١٢ متراً، وما زالت قضيتهم محل خلاف ومتداولة في المحاكم. أما في مدينة آخن، حيث يواجه المسلمون صعوبات هائلة لتوسيع الجامع الذي ضاق برواده، في هذه المدينة لا يحاول حزب الخضر إخفاء أسبابه الحقيقية، أو حتى التعبير عنها بشكل دبلوماسي، في وضع العراقيل أمام المسلمين لتحقيق هذا الغرض. وأسبابهم تلك إنما هي أسباب سياسية بحتة[1]. وهم بذلك إنما يحرمون في واقع الأمر ٢٠

(١) المركز الإسلامي بآخن (مسجد بلال)، ش بروفسير بيرليه رقم ٢٠، ت ٨٢٠٣٣٠٣٤ (٠٢٤١). المدير: العطار. المسؤول عن الحوار والمجال العام: أيمن مازيك.
مقاومة الخضر لبناء مسجد جديد، انظر: مجلد «دي تسايت» عدد ٤٢، تاريخ ١٢/ ١٠/ ١٩٩٠.

ألف مسلم يعيشون في آخن وما حولها من ممارسة حرياتهم الدينية، بالمعنى العميق والدقيق للكلمة، وهذا بمنزلة إعلان الحرب على الإسلام.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يتعداه إلى صور أخرى من التعسف. فبعض المصالح، تسمح ببناء مئذنة، ولكن مع الالتزام والتعهد بعدم استخدامها في غرضها الأساسي، أي لرفع الأذان!! ويكون هذا الشرط مقبولاً، إذا ما منعت هذه المصالح دق نواقيس الكنائس، ولكنهم بالطبع لا يفعلون، لأن الكنائس تتمتع بحماية يكفلها لها «الحق العرفي»، وكأن مادة الدستور التي تنص على المساواة لا قيمة لها مقارنة «بالحق العرفي».

ولقد لجأ مسلمو إسبانيا إلى هذه الحجة القانونية، ونجحوا من خلالها في رفع الأذان مرة أخرى في قرطبة عام ١٩٩٤، بعد انقطاع دام خمسة قرون.

وأتساءل أحياناً متهكماً: هل تصبح الجوامع في ألمانيا محتملة، إذا ما دقت الناقوس إيذاناً بموعد الصلاة بدلاً من رفع الأذان؟!![1] أو أن ينطلق المؤذن مردداً «بِم بَم - بِم بَم» بدلاً من «الله أكبر»؟!!

وإنه لمن المثير للتفكير وللدهشة في آن واحد، أن يضطر المسلمون إلى اللجوء للقضاء، حتى يحصلوا على حقوقهم، ويتمكنوا من ممارسة حرياتهم. ويدل هذا بطبيعة الحال على أننا نحيا في دولة يحكمها الدستور، لكنها لا تعمل في حقيقة الأمر بروح هذا الدستور!

وربما يعتقد المرء أن مشكلات المسلم في ألمانيا، التي يواجهها في حياته، قد تنتهي بوفاته، ولكن هيهات!! فإجراءات الدفن وفق الشريعة الإسلامية تلقى

(١) الأصل في هذه الفكرة رسم كاريكاتير هولندي.

اعتراضات هائلة، وتُقاوم بشدة!! فالمسلم يرغب في أن يدفن راقداً على جنبه الأيمن، مولياً وجهه شطر مكة. ولكن هذا الشرط لا توفره إلا مقابر محدودة جداً. ويجب أن يدفن المسلم في ثلاثة أكفان بيضاء، ولا يتم وضعه في نعش. والمدافن الألمانية لا تجيز ذلك بطبيعة الحال. (وهم يطيلون بذلك في المدة الزمنية، وهذا يزيد من احتمال التعفن)[1].

ولا ينتهي الأمر عند حد الوفاة. بل يتعداه إلى مسألة الميراث. فالمسلمون يتمسكون بقوانين الميراث المنصوص عليها في القرآن، والتي تنظم وتحدد جميع الموضوعات المعلقة بالإرث في أدق تفصيلاتها، مثلها مثل القوانين المدنية، إن لم تتفوق عليها في الدقة والعدل. ولذلك لا يجد المسلم في ألمانيا مخرجاً إلا توزيع ثروته في حياته على المستحقين من الورثة وفق النص القرآني. أما إذا اعترض أحد الورثة، ولم يقبل بهذا، فإن محاولة المسلم تطبيق شريعته تلقى الإخفاق.

ويعتقد بعضهم أن جانباً من المشكلات التي استعرضتها، قد تخفف وطأتها، وتجد لها طريقاً للحل، إذا ما توفر لمسلمي ألمانيا جهة واحدة تمثلهم، وتكون شريك حوار مع المسؤولين الألمان والبرلمان. وهذه القضية موضع نقاش منذ اللقاء الثاني للمسلمين الناطقين بالألمانية، والذي انعقد يومي ٨-٩ من أكتوبر عام ١٩٧٦ بميونيخ. وطرح السؤال التالي نفسه: هل تتم خدمة الإسلام والعمل على رفعة شأنه في هذا البلد عن طريق تشجيعه وتنميته، سالكين الطريق من «القمة هبوطاً» أو من «السفح صعوداً»؟

وتمثلت إجابتي دائماً في تصريح بأن الطريقتين لا تمثلان خيارين، بل هما

(١) تكفين المتوفى، ووضعه في نعش، ودفنه في تابوت، يطيل من عملية تحلل الجثة، وتصل بها إلى سبع لعشر سنوات. انظر أحمد الخليفة: «الدفن في الإسلام»، مجلة «الإسلام»، عدد ٣ ميونخ (١٩٨٩).

عمليتان متزامنتان تكملان بعضهما. ونصل بذلك إلى نتيجة مفادها: لابد من المحاولة في الاتجاهين.

ويشير مفهوم من «القمة – هبوطاً»، في المقام الأول، إلى المجهودات التي تبذل حتى ينال الإسلام اعترافا حكومياً، حتى تتاح لممثليه إمكانات العمل على نشره في الحياة العامة في ألمانيا، وبشكل علني يتمتع بحماية الحكومة. . تلك الإمكانات التي تتمتع بها كل من الكنيسة الكاثوليكية، والكنيسة البروتستانتية، وكنيسة الإصلاح، وكذلك الجماعات اليهودية. ومن البديهي، أن تنعكس آثار مثل هذا الاعتراف على مجالات عدة، هي على سبيل المثال وليس الحصر: المدرسة ، الدخل المالي، ضريبة الكنائس، تنظيم الأعياد، التعامل مع وسائل الإعلام، وغيرها من المجالات.

ولقد أدرت مؤتمراً حول شروط وفروض تحقيق هذا الاعتراف. وقد عقد هذا المؤتمر في «بيت الإسلام» بـ Lutzelbach في يومي ٧– ٨ من مارس عام ١٩٨٧. وقد ارتكز هذا المؤتمر على مذكرة كنت قد نشرتها من قبل، موضوعها تأسيس «جماعة إسلامية». ولقد أوضحت للمشاركين أن المادة الرابعة من الدستور تشكل نقطة الانطلاق والبداية التي يستند إليها اعتراف قانوني وشامل بالإسلام في ألمانيا الاتحادية، وذلك لأنه بناءً على هذه المادة، فإن الدستور يكفل لكل جماعة دينية مبدأ «ممارسة الدين بدون إزعاج». أما تفسير هذا ، فنجده في المادة الخاصة بالدين، الواردة في دستور فايمار، والذي انتقل عبر المادة ١٤٠ إلى الدستور الحالي.

ولقد نبهت إلى وجود نقطة أساسية في المادة ١٣٧ ، والتي تنص على أن

المسؤولين في كل مقاطعة لهم الحق في منح أي جماعة دينية مشكلة ومنظمة وفق قانون الاتحادات وضع الهيئة المتمتعة بالحق العلني.

ويتطلب هذا، وفق المادة ١٣٧، ضرورة أن تثبت الجماعة الدينية « من خلال دستورها وعدد أعضائها إمكانية استمرارها».

ولقد اتفقت الآراء على وجود عدد وفير من المسلمين في ألمانيا، ولكنهم غير «دستوريين»، بمعنى أنهم ليسوا أعضاء في منظمة إسلامية واسعة تضمهم جميعاً. ولذلك، فإننا نرى أن نولي أهمية قصوى لتأسيس جماعة إسلامية في ألمانيا، بل نجعل لهذا الهدف الأولوية المطلقة.

ولكننا نتوقع مع ذلك، وحتى بعد تحقيق هذا الشرط، أي بعد أن يتم تنظيم المسلمين في شكل «دستوري»، أن تواجهنا عقبات وعراقيل أخرى، لمنع قيام تنظيم إسلامي وسيكون شرط «ضمان الاستمرار» العقبة التي سيضعونها في طريقنا، وستتمثل حجتهم في أن العمالة الأجنبية تشكل الغالبية العظمى من مسلمي ألمانيا، وهؤلاء تمنح لهم تصاريح إقامة محدودة المدة. وهم يتبعون مبدأ يرفعونه: «ألمانيا ليست بلداً أو موطناً للمهاجرين».

ولقد بدأ المسلمون، بالرغم من ذلك، في العمل على توفير الشروط اللازمة لاعتراف كامل بالإسلام، وذلك من خلال تحقيق شكل تنظيمي أفضل للتجمعات المسلمة، الموجودة حالياً في ألمانيا. ولقد أدرك المسلمون - في حرج بالغ - في السنوات الأخيرة عدم وجود منظمة تمثلهم[١].

ولقد حاول ابني ألكسندر - وهو غير مسلم - أن يصوغ في عدة نقاط ما يمكن أن يحققه «اتحاد المسلمين» من إنجازات هائلة:

(١) فولفجانج جنتر لرش: FAZ تاريخ ١/ ١٢/ ١٩٩٤.

١- تمثيل المسلمين في المجالات الخارجية كافة.
٢- انتخاب الإمام الأكبر للمسلمين في ألمانيا.
٣- العمل على الاعتراف بالإسلام، هيئة، أو جميعة دينية.
٤- إدارة مكتبة مركزية، وأرشيف للرجوع إليه لأغراض وثائقية.
٥- إصدار مرجع للمسلمين في ألمانيا.
٦- تنظيم لقاءات، ومعارض، ورحلات حج، وغيرها من الرحلات الجماعية.
٧- إصدار نشرة تتضمن إعلانات، بما فيها إعلانات زواج.
٨- تشجيع بناء المساجد.
٩- توزيع منح دراسية لغير القادرين من الطلبة المسلمين.

ووضع مشروع مثالي كهذا، ربما يتطلب فعلاً شاباً عمره ٢٣ عاماً، كما كان ابني عندما صاغ هذه النقاط.

ولكن، تكون اليوتوبيا ذات فائدة هائلة إذا ما استطاعت أن تمهد الطريق لرؤية ما. ولقد أدت محاولات وضع خطة عمل إلى تعاون بين المسلمين في ألمانيا.. تعاون يتخطى الحدود المحلية، ويضم جميع مسلمي ألمانيا. ولقد تحقق ذلك عام ١٩٨٨، ونتج عنه تكوين «مجموعة عمل دائمة للجمعيات الإسلامية في ألمانيا»، بتاريخ ٣/ ١٢/ ١٩٨٨م، في مدينة كولونيا. وتمثل هذه المجموعة مظلة للجمعيات الإسلامية في ألمانيا، وقد لجأت إلى استخدام العنوان البريدي لاتحاد المراكز الثقافية الإسلامية.

وانبثق عن مجموعة العمل هذه، «المجلس المركزي لمسلمي ألمانيا»(ZMD) والذي يعود تاريخ تأسيسه إلى ٢٧/ ١١/ ١٩٩٤م في مدينة كولونيا. ويرأس هذا

المجلس الطبيب السعودي/ الألماني نديم إلياس [1]. ولقد رحبت جريدة فرانكفورتر ألجمانية Frankfurter Allgemeine ترحيباً حاراً بهذا المجلس.

ويعد المجلس نفسه بطبيعة الحال. قياساً على وضع وواجبات المجلس المركزي ليهود ألمانيا – شريك حوار، وجهة تخطاب مع الدولة الألمانية، والإدارات وجماعات المجتمع المختلفة.

وتستند هذه المطالب إلى أن هذا المجلس المركزي قد ضم عند تكوينه ١٥ منظمة مركزية، تشمل نحو ١٢٠٠ جمعية إسلامية.. أي إن المجلس يمثل منذ البداية نحو ٧٠٪ من مسلمي ألمانيا.

ولا يضم هذا المجلس المركزي مجموعات يديرها ألمان فقط، مثل جمعية مسلمي بون، أو «بيت الإسلام»، بل وأيضاً منظمات يرأسها أجانب، مثل: «اتحاد الطلبة المسلمين»، و «المجتمع الإسلامي» في ألمانيا، و« اتحاد المراكز الألبانية». ولا يثير عدم انضمام جمعية المشاركة التركية ومجلسها الإسلامي إلى هذا المجلس المركزي أي دهشة، ويعود ذلك إلى ارتباطهما الوثيق بوضع الإسلام وتطوره في دولة تركيا[2].

أما المنظمة المنافسة لهذا المجلس، وهي (DITIB)، فهي منظمة تابعة للحكومة التركية وهي تواجه – بصفتها غرس الحكومة التركية في الخارج – المشكلة التالية: لا يحق لها الانضمام لعضوية أي اتحاد مدني.

(١) المجلس المركزي لمسلمي ألمانيا. فوجلزانجر، رقم ٢٩٠. كولونيا ٥٠٨٢٥ت/ فاكس: ٩١٢٠١٩ (٠٦١٦٥).

(٢) طبقاً للبيانات الرسمية، يتم في تركيا بناء جامع جديد كل ٦ ساعات، وذلك بالجهود الأهلية. وكثير من هذا الأموال المستخدمة في بناء المساجد مصدره الأتراك الذين يعيشون في ألمانيا.

ولقد حقق هذا المجلس المركزي ما ينشده لنفسه من مكانة رفيعة، حينما عبر عن موقفه المبني على النهج الإسلامي أمام لجنة الصحة بالمجلس النيابي الألماني يوم ٢٨/ ٦/ ١٩٩٥م، وذلك في إطار مناقشة اللجنة لمسألة زرع الأعضاء، والموت بالسكتة الدماغية (موت المخ).

ولقد أعلن د. نديم إلياس أنه يعارض التباطؤ في إقرار الموت، عندما تتوقف الوظائف الحيوية، وينتهي نشاط المخ بشكل قاطع، لأن ذلك يتعارض مع كرامة الإنسان ورُقيِّه، سواء في الحياة أو الموت. وقد أيد عمليات زرع الأعضاء، إذا ما تمثلت هذه العملية للأطباء وسيلة العلاج الوحيدة المتاحة أمامهم، وأن يتوافر لها فرصة نجاح كبيرة. ويشترط موافقة المتطوع، والتأكد من عدم إلحاق أي ضرر به. وفي حالة استئصال أحد أعضاء متوفى، فيشترط موافقة ذويه.

ولذلك، فليس من المثير للدهشة أن يرى الرئيس الألماني في شخص رئيس المجلس شريك حوار رفيع المستوى. ولقد عبر الرئيس رومان هرتزوج عن هذا في ١١/ ١٢/ ١٩٩٥م، عندما استقبل ممثلي المسلمين في ألمانيا، في قصر Bel-levue. ومن الجدير بالذكر أنه أول رئيس يبادر بمثل هذا اللقاء.

وتظل مسألة انفراد المجلس بتمثيل الإسلام في ألمانيا، في السنوات القادمة، غير محسومة، لأنها ستعتمد أساساً على النجاح في تجاوز بعض الخلافات داخل الجماعة الإسلامية. وربما نستطيع التوصل إلى اتفاق، إذا ما أخذنا في الاعتبار شهادتي كل من الأشعري (توفي ٩٣٥) والغزالي (توفي ١١١)[١].

ونحن بصدد تكوين إجماع ديني، لا بد لنا أن نتوقف عند عدة قضايا ملحة،

(١) انظر: أرنولد هوتنجر: الله اليوم. زيورخ (١٩٨٠).

ونصوغ الموقف الإسلامي منها، مثل: سياسات السوق ذات الأبعاد الاجتماعية، وحقوق المرأة، ومفهوم الديمقراطية. . . ولابد أن يأتي موقفنا في شكل يخدم عملية الاعتراف بالإسلام.

ولكن الاعتراف قريباً بالإسلام أمر يحيط به الكثير من الشكوك، حيث يتطلب الأمر وقتاً طويلاً حتى تتعامل غالبية الألمان بروح يسودها الود مع الحقيقة البينة والمتمثلة في الإسلام. هذا الإسلام الذي أصبح ظاهرة ألمانية حيوية ومتنوعة، ويمكن بالطبع التعايش معها في سلام، وخصوصاً أن تمني زوالها لن يفيد كثيراً. ولكن ما زال الدرب طويلاً وشاقاً، حتى نصل إلى تلك النقطة، أي حتى يلقى الإسلام استحسانا وقبولاً لدى الشعب الألماني.

ولقد تنبأ جوته بهذا، حين قال ما معناه: التسامح خلق يجب أن نتخطاه ونجتازه، فهو يصل بنا إلى الاعتراف. أما مجرد التقبل، فهو أمر مهين[1].

ولكننا لم نصل لشيء من هذا بعد. ولذلك، فإنني أؤيد أحمد فون دنفر، حين قال قبل عدة سنوات: «نحن لا نؤخذ على محمل الجد، ونحن نستمتع في ثقافتنا الفرعية بحرية المجنون»[2] هذا هو وضعنا، هذا فقط، وليس أفضل منه.

وإنني لأخشى أن يكون هذا التسامح المحدود قد تضاءل، خاصة بعد مسألة سلمان رشدي، وحرب الخليج الثانية، التي أدت إلى شكوك حول مدى تمسك المسلمين بالدستور، واحترام حقوق الإنسان، وقدرتهم على ممارسة الديمقراطية. وبهذا، توضع عراقيل جديدة في سبيل الاعتراف بالإسلام. ويأتي الفصل الأخير ليتعرض لهذا الأمر.

(١) جوته: مبادئ وتأملات. رقم ١٢١.

(٢) أحمد فون دنفر - انظر ٧٦ ص ٦٩.